@ 569 @ تصيبه الشمس أول النهار وآخره ، فيحسن ويطيب ، ويكون أصفى لزيتها ، ولهذا قال : ! 2 2 ! من صفائه ^ (يضيء ولو لم تمسسه نار) ^ فإذا مسته النار ، أضاء إضاءة بليغة ! 2 2 ! أي : نور النار ، ونور الزيت . ووجه هذا المثل ، الذي ضربه ا ، وتطبيقه على حالة المؤمن ، ونور ا في قلبه ، أن فطرته التي فطر عليها ، بمنزلة الزيت الصافي . ففطرته صافية ، مستعدة للتعاليم الإلهية ، والعمل المشروع ، فإذا وصل إليه العلم والإيمان ، اشتعل ذلك النور في قلبه ، بمنزلة إشعال النار ، فتيلة ذلك المصباح ، وهو صافي القلب ، من سوء القصد ، وسوء الفهم عن ا . إذا وصل إليه الإيمان ، أضاء إضاءة عظيمة ، لصفائه من الكدورات . وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية ، فيجتمع له ، نور الفطرة ، ونور الإيمان ، ونور العلم ، وصفاء المعرفة ، نور على نوره . ولما كان هذا من نور ا تعالى ، وليس كل أحد يصلح له ذلك قال : ! 2 2 ! ممن يعلم زكاءه وطهارته ، وأنه يزكي معه ، وينمي . ! 2 2 ! ليعقلوا عنه ، ويفهموا ، لطفا منه بهم ، وإحسانا إليهم وليتضح الحق من الباطل ، فإن الأمثال تقرب المعاني المعقولة من المحسوسة ، فيعلمها العباد علما واضحا . ^ (وا بكل شيء عليم) ^ فعلمه محيط بجميع الأشياء . فلتعلموا أن ضربه الأمثال ، ضرب من يعلم حقائق الأشياء وتفاصيلها وأنها مصلحة للعباد . فليكن اشتغالكم بتدبرها وتعقلها ، لا بالاعتراض عليها ، ولا بمعارضتها ، فإنه يعلم ، وأنتم لا تعلمون . ولما كان نور الإيمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد ، ذكرها منوها بها فقال : ! 2 2 ! إلى ! 2 2 ! . ^ (في بيوت أذن ا أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر ا وإقام الصلاة وإيتآء الزك اة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم ا أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله وا يرزق من يشآء بغير حساب) ^ أي : يتعبد ! 2 2 ! عظيمة فاضلة ، هي أحب البقاع إليه ، وهي : المساجد . ! 2 2 ! أي : أمر ووصى ! 2 2 ! هذان مجموع أحكام المساجد . فيدخل في رفعها ، بناؤها ، وكنسها وتنظيفها من النجاسات والأذى وصونها من المجانين والصبيان ، الذين لا يتحرزون عن النجاسات ، وعن الكافر ، وأن تصان عن اللغو فيها ، ورفع الأصوات بغير ذكر ا . ! 2 2 ! يدخل في ذلك ، الصلاة كلها ، فرضها ، ونفلها ، وقراءة القرآن ، والتسبيح ، والتهليل ، وغيره من أنواع الذكر ، وتعلم العلم وتعليمه ، والمذاكرة فيها ، والاعتكاف ، وغير ذلك من العبادات ، التي تفعل في المساجد ، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين : عمارة بنيان ، وصيانة لها ، وعمارة بذكر اسم ا ، من

الصلاة وغيرها وهذا أشرف القسمين . ولهذا شرعت الصلوات الخمس ، والجمعة ، في المساجد ، وجوبا عند أكثر العلماء ، واستحبابا عند آخرين . ثم مدح تعالى ، عمارها بالعبادة فقال 2 ! : 2 ! إخلاصا ! 2 2 ! أول النهار ! 2 2 ! آخره ! 2 2 ! . خص هذين الوقتين ، لشرفهما ولتيسر السير فيهما إلى ا ، وسهولته . ويدخل في ذلك ، التسبيح في الصلاة وغيرها ، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء ، وأورادهما عند الصباح والمساء . أي : يسبح فيها ا ، رجال ، وأي رجال ، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا ، ذات لذات ، ولا تجارة ومكاسب ، مشغلة عنه . ! 2 2 ! وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض ، فيكون قوله : ! 22 ! من باب عطف الخاص على العام ، لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره ، فهؤلاء الرجال ، وإن اتجروا ، وباعوا ، واشتروا ، فإن ذلك ، لا محذور فيه . لكنه لا تلهيهم تلك ، بأن يقدموها ويؤثروها على ! 2 2 ! بل جعلوا طاعة ا وعبادته ، غاية مرادهم ، ونهاية مقصدهم ، فما حال بينهم وبينها ، رفضوه . ولما كان ترك الدنيا ، شديدا على أكثر النفوس ، وحب المكاسب بأنواع التجارات ، محبوبا لها ، ويشق عليها تركه في الغالب ، وتتكلف من تقديم حق ا على ذلك ، ذكر ما يدعوها إلى ذلك ، ترغيبا وترهيبا فقال : ! 2 2 ! من شدة هوله وإزعاجه القلوب والأبدان ، فلذلك خافوا ذلك اليوم ، فسهل عليهم العمل ، وترك ما يشغل عنه . ! 2 2 ! والمراد بأحسن ما عملوا : أعمالهم الحسنة الصالحة ، لأنه أحسن ما عملوا ، لأنهم يعملون المباحات وغيرها . فالثواب لا يكون إلا على العمل الحسن كقوله تعالى : ^ (ليكفر ا عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ^ . ! 2 ! 2 زيادة كثيرة عن الجزاء المقابل لأعمالهم . ! 2 2 ! بل يعطيه ، من الأجر ، ما لا يبلغه عمله ، بل ولا تبلغه أمنيته ، ويعطيه من الأجر بلا عد ، ولا كيل ، وهذا كناية عن كثرته جدا 2 ! . 2 ! هذان مثلان ، ضربهما ا لأعمال الكفار ؛ في بطلانها وذهابها سدى ؛ وتحسر عامليها منها